

الفصل الأول

الإنسان والتطلع للكمال

مقدمة :

الإنسان الكامل، هو من يعرف بل ويقدر سرَّ الروح (نفحة ربانية) فيه، وسرَّ المادة، وسرَّ النفس، وسرَّ العلاقة بين المادة والنفس (الروح القائم في الأشياء)، فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه. وكإني بإنسان رباني أدراك بقدر ارتقائه ليتعرف على كل الأسرار المخبوءة في هذا الوجود، تذوق معية الخالق وصار على هذا الدرب قدوماً فتلذذ بهذا المسلك. ومن وصل إلى ذلك فقد خرق النواميس الكونية. وفي ذلك يتم الكمال في استخلاف الإنسان الذي يغدو حاله المادى هو حاله اللطيف. حيث يصير العالم بأسره لذلك الشخص جسمًا وآلة وجنودًا وأعوانًا، ويكون هو منه بمنزلة الرأس الذي هو مكان العقل. وكل هذا لا يتم إلا من خلال التطور والوصول لبلوغ الكمال الإنساني المطلق من خلال الأنوار المتلاحقة والسببية وهي نور يتلو نور من نور الخلق، مروراً بالأنوار والهداية الربانية للوصول لنور العبودية الكاملة.

فلسفة الإنسان الكامل

من الإنسان نبدأ، فالإنسان هو محور هذه الحياة ومنطلقها، وهو المخلوق المكرم. والمميز بالعقل، وهو يمكن أن يرتفع بنفسه ليقارن بالملأ الأعلى، في مقعد صدق، ويباهى به الملائكة. كما يمكن أن ينحط بنفسه فيصبح أدنى من البهائم، وهو في هذه الحالة الإنسان الآلة الميكانيكية الخالية من أي بعد ميتافيزيقي أو روحاني، إنه الإنسان الذي تقف حدود عقله في داخل هذا الكون المنظور المحسوس، وهو الإنسان الذي تقف حدود أمانيه ورغباته في داخل هذه المادة المتلاشية، وهو الإنسان الذي لا يطمع في مستقبل آخر وآمال أخرى خارج هذه الأرض وخارج حدود هذا الكون. بينما في إسلامنا فإن الإنسان هو المؤمن بالغيب وبالله الواحد الأحد، وبالعالم الآخر، ويعتبر حياته في هذه الدنيا هي الفصل الأول من المسرحية التي

لن تتم إلا بإسدال الستار على عالم التكليف، والانتقال إلى عالم الجزاء.

الإنسان الكامل، هو من يعرف سرَّ الروح (نور الله)، وسرَّ المادة، وسرَّ النفس (نور الله الكاشف)، وسرَّ العلاقة بين المادة والنفس، ومن يعرف أيضاً سرَّ الألوهية (الإحاطة الصمدية). إنه من عرف كل الأسرار المخبوءة في هذا الوجود، وتذوق طعمها وتلذذ به. ومن وصل إلى ذلك كان من السعداء الذين عاينوا الذوات المجردة، وطالعوا النظام القديم، وخرقوا النواميس الكونية. وفي ذلك يتم الكمال الإلهي في الإنسان الذي يغدو هو الأشياء والأشياء هو. حيث يصير العالم بأسره لذلك الشخص جسماً وآلة وجنوداً وأعواناً، ويكون هو منه بمنزلة الرأس الذي هو مكان العقل. فسعادة النفس في كمال ذاتها وتلطف وجودها وطمئنة تواصلها مع الروح. فالإنسان الكامل يمشى لهدف واحد هو نور التشرف بالعبودية فهو من خلاله وبه بل هو منه وإليه يكون الاستواء بل يكون حصد الرضا المرضى بالكمال وحب الحمد الدائم المستدام. وكل هذا لا يتم إلا من خلال التطور والوصول لبلوغ الكمال الإنساني المطلق من خلال لأنوار المتلاحقة والسببية وهي نور تلو نور ومنها:

نور الخلقة، نور المولد، نور النشأة، نور التربية، نور الاتِّباع، نور الإدراك، ثم نور الذكر، نور الإحاطة، نور التفضيل، نور التشريف، نور التسخير، نور الكَشْف، نور التزكية نور الانتقال، نور البداية الجديدة، ثم نور المكانة الكبرى، ثم نور الانفراد، نور العبودية. ونور العبودية لا يتم إلا بالنفس التي وصلت لمرتبة الراضية المرضية.

الارتقاء والسمو

إن الارتقاء والسمو بالإنسان الكامل من المستوى الفردي مروراً بالجماعي للوصول إلى المستوى الكوني، هو رفع للكيان الإنساني التقرمي إلى مركزية كونية. فالعالم خُلق من أجل غاية محدَّدة، وهي الإنسان الكامل كعبد للخالق. فهو العلة النظرية في وجود هذا العالم، وهو الغاية النهائية منه. فالإنسان الكامل مختصر الكون، وفيه أنطوى العالم الأكبر.

والإنسان الواعي هو الذي يختار لنفسه الكمال على النقص، والتقوى على الفجور، لأنه

يعلم إنه إنسان بروحه وليس ببدنه، فإن البدن يبلى ويفنى، وأما الروح فإنها باقية خالدة حتى وإن مات البدن ودس في التراب. ويقول بعض الصوفية، لا غرابة في أن يكون علّة بقاء العالم واستمراريته، فضلاً عن أنه علّة وجوده النظرية وغايته النهائية.

ومن ذلك كله، ومن المفهوم الأكبر والمستدام للإنسان الكامل المتكامل هو أن يكون العرش الخالق مقابلاً بقلب الإنسان الكامل، والكرسي بأنيته، وسدرة المنتهى بمقامه، والقلم الأعلى بعقله، واللوح المحفوظ بنفسه الراضيه، وتلك هي العناصر الأربعة للإنسان الكامل. فالإنسان هو القطب الذي تدور حوله أفلاك الوجود من أوله إلى آخره بإذن الخالق. إن الارتقاء الإنساني يلزمه تدريبات لا تنتهى ولكنها تساعده على معرفته لنفسه والاستزاده بمكوناته الداخلى ليسمو فى أعماله وصوره الخارجية. أنها عملية تشبه ارتقاء السلم تتم من خلال درجات.

السمات الكمالية العامة

١. إن العنصر الروحاني عنصر أساسي في الإنسان الكامل، يتأتى له من الاتصال والادراك الواعي بالعقل الفعّال أو العالم النوراني.

٢. إن الارتقاء على ما هو مادي وشهوي من أخصّ خصائص هذا الإنسان حيث يتمكن من التحرر من أثر الطبيعة المادية-الظلمانية التي تنصاع لها الكائنات الأرضية. بل يجعله أيضاً أعمق إدراكاً واستيعاباً لما هو مادي ولما هو روحاني في الوقت نفسه. إذ أن المادة حجاب، ومن يتحرّر منها يمتلك أسباب المعرفة الحقة.

٣. إن نيل الكمالات المادية والمعنوية هو أمرٌ لا غنى عنه في بلوغ الكمال الإنساني المطلق. وهو ما يحيل على الجانب الاجتماعي في الإنسان الكامل الذي هو إنسان اجتماعي فاضل أولاً، ومن ثم هو إنسان رباني يطوق بالكمال. فالعالم المادى يختلف عن العالم النفسى أو العالم الروحى فى طبيعته وسرعته وكثافته بل وأهدافه.

٤. إن الفاعلية الاجتماعية أو الروحانية أو الكونية هي من السمات التي تجعل من الإنسان الكامل ذا مركزية لما وصل إليه من مستوى فى الارتقاء. مما يعني أن الجانب الخلاصي ذو

أهمية كبرى في هذا الإنسان، وسوف تعكس الطاقات الإنسانية فيه على المستوى الاجتماعي وسوف يبين الظلم والفساد، أو يكون خلاصاً من أسر المادة والعدم على المستوى الكوني.

٥. إن الإنسان الكامل يجمع بين العالم المادي والعالم الروحاني، بين عالمي الغيب والمشهود، أو بين الحق والخلق، فيكون بذلك أهلاً لأن يكون الصلة بين هذين القطبين، وهو ما يجعله رحيماً بمن هو دونه من الناس، أي رحيماً بالبشر كافة. حيث إنه يعرف الطبيعة التي هم عليها، ويعرف تأثيرها فيهم، فلا يظلم ولا يبطش.

حقيقة الإنسان

حياة الإنسان على الأرض منذ ولادته حتى أنتقاله منها هي دورات لا تعد ولا تحصى فمثلاً: كل عام يمر على الإنسان ميلاد دورة سنوية جديدة أى عام جديد. كل صباح جديد هو وفاة يوم في حياة الإنسان وولادة يوم جديد وهي بمثابة فرصة جديدة للكسب في الله والارتقاء على سلم الخير وحب الناس للوصول لحب الخالق. والصلاة التي يؤديها للإنسان على اختلاف أديانه ومعتقداته هي دورة جديدة لأنها بداية جديدة بحصيلة ما كسبه الإنسان من صلواته. بل إن أنفاس الإنسان شهيقاً دورة دخول الأوكسجين للإنسان (أحتواء الأوكسجين داخل الرئة) أو زفيراً دورة خروج ثاني أكسيد الكربون من الرئة (تخلص الجسم من الغازات الضارة).

وأيضاً الدورة الدموية والجهاز التنفسي والجهاز التناسلي والجهاز الهضمي والجهاز العصبي تعنى حدوث دورات متكاملة ومتكررة بل ومتناغمة مع بعضها لخدمة حياة الجسد البشري، وتحدث خلال كل جهاز دورات أصغر ولكنها منضبطة. و نصل إلى المستوى الخلوي أى على مستوى كل خلية بالجسم فنجد إن الغذاء يصل لها من خلال الدم والتنفس من خلال الرئة وهكذا. ونأتى للمستوى التحت خلوي أى مستوى مكونات الخلية والتي تقوم بأدوار كبيرة وكثيرة للخلية، حيث تمتلك كل خلية نواة وداخل النواة توجد الأحماض النووية التي تحمل الشفرات الوراثية التي تتكون بدورها باعداد ضخمة من الأكواد التي تحدد الشفرات الوراثية للإنسان. إن كل إنسان يموت داخله ملايين الخلايا كل يوم وتولد ملايين أخرى.

ولتلخيص كل ذلك أحب أن أؤكد لك عزيزي القارئ أنها دورات تتم إما خلال أقل من ثانية إلى دقيقة أو ساعة أو مستوى اليوم وهكذا فتكامل الإنسان الداخلى وهذا الصرح العظيم بدءاً من نطفة أو بمعنى آخر خلية. ومن الجدير بالذكر أن كل إنسان خلال فترات نموه، يموت كل يوم فيه جزء وينمو جزء جديد، أنها حلقات ودورات متكررة و نمو متتالي وموت يتوالى فى أزمته صغيرة بل دقيقة جداً وخلال فراغ تحت خلوى. أن الإنسان يتمدد و يتطور وينمو ويكبر كما هو الحال فى نظريات الكون من حولنا. والإنسان ليس مخيراً فى كل خطوة من خطوات تكوينه، (طور الماء المهين، طور النطفه أو العلقه أو بعد ذلك إلى الولادة). وبالتالي فالإنسان على المستوى تحت الخلوى والخلوى (الوظائف الحيوية والفسىولوجي) هو كائن مسير وليس مخيراً. بل أنه طول أطوار تكوينه داخل رحم الأم هو مسير. وعندما ينزل من بطن أمه فى وضع السجود فهو غير مخير. فكم من البشر أختار جنسه (ذكر أو أنثى) أو أسمه أو حتى لون بشرته أو فصيلة دمه.

وبديهي أنه ما من أم أختارات وليدها، وبالرغم من ذلك حملته ٩ شهور داخلها واستمرت فى تغذيته وهو يسكن جنبات رحمها، بل وتحملت الكثير والكثير منه من آلام وضربات فى البطن، فهل هى مخيرة؟. وعند بداية ولادته تتحمل آلام الولادة الصعبة والمستمرة. وعندما ينزل منها تحنو عليه وتسقيه من لبنها بالرغم من أنها لم تأمر صدرها بإفراز اللبن ولكن هى وجدت نفسها ترضعه وتسهر وتحنو عليه، ولكن فى الحقيقة هى لم تختار أن تكون أنثى بل ولم تختار وليدها. ولمعرفة أهمية الطفل لها، هل تقبل أى أم استبدال طفلها بطفل آخر قد يكون أجمل أو فى صحة أقوى؟ والأجابة تعنى ثقة الأم بعطية ربها لها وبحبها لرزق الله وهى الأمومة. إن السر فى الأمومة هو الرضا بقضاء الله.

فلسفة الجمال

كل حضارة وفلسفة ونظام يسعى إلى بناء الإنسان وفق رؤية معنية، الذي يستطيع استيعاب تلك الرؤية وتحقيقها على أرض الواقع ورعايتها وضمان استمرارها وفعاليتها، ولا شك

أن مسألة بناء الإنسان لها صلة وثيقة بطبيعة القيم السائدة أو المراد إنتاجها في كل حضارة ونظام، علي نحو نشهد فيه نوعاً من التسابق وتحقق المصالح الفردية والخاصة، وتغليب المنجزات المادية، والاصطباغ بقيم الحرية في كل سلوك وتوجهات الإنسان الذي يحيا في ظل الثقافة الليبرالية. إن الإنسان هو محور البناء ومرتكز الوجود الحضاري، وأن بناء الإنسان يتحقق عبر اكتمال عناصر ثلاثة: الرؤية الواضحة والقيم الثابتة، والأداة الفاعلة، فالرؤية الواضحة تقوم علي التوحيد الخالص الذي يرتقي بالإنسان إلي مرتبة التحقق بالعبودية، فيستحضر في كل تعاملاته مع نفسه ومع الكون حقيقة عبوديته لله تعالي، علي حين أن القيم الثابتة هي التي تحفظ عليه خط السير باعتدال، فهو إنسان مستخلف في الأرض، يحمل أمانة الهداية، ومكلف بإعمار الأرض وفق عناصر تلك الأمانة، ثم يتحقق الربط ما بين الرؤية الواضحة والقيم الثابتة عبر الأداة الفاعلة، التي تعني ربط العلم بالعمل، ومداومة الإنجاز والإتقان .

والكمال قيمة عالية يسعى إليها الإنسان، وينشد الوصول إليها، سواء علي مستوى الرجال أو النساء، ومعنى الكمال اجتماع صفات الحسن وانتفاء صفات السوء في الإنسان، والكمال منه ما يكون حسياً، ومنه ما يكون معنوياً. الكمال الحسي هو ما يتعلق بالصفات الجسمية للإنسان، من اجتماع صفات الجمال الخلقي وانتفاء صفات السوء الجسمي كالتشوهات والعيوب وما ينافي الجمال الجسدي، وكذا اجتماع مقومات صحة البدن وانتفاء ما يعارضها من الأمراض والعاهات الظاهرة وغير الظاهرة، وهذا النوع من الكمال يكون في النساء أكثر مما يكون في الرجال، فهو في الرجال قليل.

وأما الجمال المعنوي وهو الذي نعنيه في هذا المقال فهو اجتماع صفات الحسن وانتفاء صفات السوء المعنوي في الإنسان، وهذا النوع من الكمال يكون في الرجال أكثر مما يكون في النساء. ومن صفات الكمال في الإنسان: عدم الكبر والاعجاب بالنفس، (فالذي أضع إبليس كلمة «الأنا» تلك، أي أنه رأى لنفسه الفضل علي الغير، وهو شعور باطني يثمر في سلوك وشعور بالترفع علي الغير)، وعدم الغضب ما أمكن، و عدم الرياء وعدم مراعاة الناس

(التباهى والامتتان على الناس).

إن الإنسان الكامل هو المثل الأعلى لجمال العبودية للخالق. فإنه ينبغي أن تتوجه أنظار البشر، للتخلص مما يشوبهم من تهاة ومحدودية، وهم في سجن المحسوسات. فهو المعيار الذي ينبغي عليهم أن يقيموا به وجودهم الدنيوى المادى. وإلا فإن التهاة سوف تشمل المسيرة الإنسانية عامة. ويبقى أن نقول إن جعل الجلال الإنسانى على هذا النحو من السمو والرفعة هو، في حقيقته، دعوة إنسانية إلى أن يكون البشر كافة - وهم مؤهلون من حيث الإمكانية - ذوي جلال. إنها دعوة إلى تعميق الجوهر الإلهى فى البشر، وإلى جعل الفردوس السماوى ممكناً فى الأرض. وكأن الدعوة إلى تعميم الإنسان الكامل هى دعوة إلى الارتقاء بالخلق إلى عوالم الحق، والارتقاء بالمجتمع الأرضى إلى مستوى المجتمع السماوى-الروحانى.

الجمال

فمن حيث ملامح الجمال، فى الإنسان الكامل، يمكن أن نلحظ إليها من عدة مستويات حسية وعقلية واجتماعية وروحانية بل وبيئية. نتناول كلاً منها على حدة، من دون أن نغفل عن أن الاعتدال هو الناظم لهذه الملامح. فعلى المستوى الحسى، يقرر ابن عربى أن الإنسان الكامل هو أعدل النشآت الإنسانية-الجسمانية. حيث تم تركيبه على أفضل شكل ممكن، فكان النور الجثمانى بحسب ابن سبعين. ولأن الاعتدال ينظم بدنه، فإنه يستطيع أن يباشر الأفعال الحسية بيسر وسهولة، من دون أن يصيبه عناء أو تعب.

وهكذا نلحظ أن الجمال فى الإنسان الكامل متعدد الجوانب والمستويات، فلقد جمع فى ذاته الجمالين: المقيّد والمطلق، الظاهر والباطن، الشاهد والغيب. فجمع بذلك بين الجمال والجلال فى ذاته وصفاته. فجعله المقيّد مرآة لجمال وكمال الكون.

وعلى الرغم من الفوارق الأيدولوجية، والمعرفية أحياناً، بين ما يقول به أهل البرهان وأهل العرفان، إلا أن المضمون الجمالى، فى الإنسان الكامل، واحد تقريباً فى كليهما. فلا

فرق، كما نعتقد، على الصعيد الجمالي، بين أن يتصل الإنسان بالعقل الفعال فيكون كاملاً، وأن يتصل بالروحانيات فيكون كاملاً أيضاً. إذ إن العقل الفعال والوعى المدرك ما هو إلا جوهر روحاني. وهذا الكمال هو الأساس في الجمال والجلال اللذين يتصف بهما الإنسان الكامل، وهو الأساس أيضاً في اللذات الجمالية التي يحصل عليها - بصرف النظر عن هيمنة الجانب الحدسي العرفاني عليها عند المتصوفة، أو هيمنة الجانب العقلي البرهاني عند أهل البرهان.

السعادة

كلمة سعادة، بالعربية، متصلة أيضاً بمعنى فعل ساعد، أي "عاون". إذ إن السعادة ليست خبرة فردية؛ إنها بالأحري خبرة الخروج من الذات، يحملنا فيها شيء يتجاوزنا، و يحركنا شيء يسمو بنا. وللمصطلح أيضاً بُعد وظيفي وتقني. فكلمة ساعد، المشتقة هي الأخرى من الثلاثي سَعَدَ، تعني "الذراع": لنيل السعادة يُعتَقَد أنه من الضروري تحريك الجسم؛ فكما أن الطائر الذي ينطلق محلّقاً في الأجواء يستعمل جناحيه للطيران ويفوز بهذه الحركة بشكل من السعادة، كذلك فإن جسم الإنسان هو الآلة "التقنية" للسعادة. ومنه فإن كلمة "سعادة"، التي تعني في الآن نفسه الهناءة والغبطة، تشترك في الجذر مع كلمة "ساعد" التي تنطوي على معنى "التعاقد" والقدرة على التحرك، بفضل الجسم، نحو الآخر ونحو العالم. وهذا التجاور اللفظي يوجد كثافة معنوية تستحق الاستفسار عنها. أخيراً، فإن معنى كلمة "سعادة". و السعادة التامة هي الرضا بما أنت فيه، والرضا بقضاء الخالق، والرضا عن نفسك، والرضا عن الآخر بصرف النظر عن سلوكه. فالرضا في العون والمساعدة من الداخل للخارج من الباطن للظاهر هي رضا المحبة والطاقة الإيجابية الحقيقية والادراك الواعي لمعاني المحبة المستنيرة المادية والروحية بجلال وجمال قدرات الخالق الذي وهبك إياها فيك.

ويقود الإنسان حبه لنفسه و حبه للمرأة و حبه للجاه و السلطان إلى يأس بعد يأس وملل بعد ملل و إحباط بعد إحباط حتى يشرق فيه حب الحق ليدله على الطريق إلى الواحد الأحد الذي تجتمع فيه كل الكمالات. و يزداد حبه عمقاً ليصبح عبادة و صلاة و هو يصعد

في طريق العودة إلى منبع الأنوار. و هو يدرك أن كل ما عاناه من عذاب و ألم و إحباط و يأس لم يذهب عبثاً، فقد كانت كل تلك الآلام هي المؤشرات التي كشفت له طريقه و دلته على حقيقته، كانت بوصلته و دليله في بحر الظلمات و من أجل هذا خلق الله الحياة. إن الإنسان معجزة السمو والارتقاء، إنه مادة فانية و نفس تسعى للسمو، أنه ابن الموت يوم يولد للحياة، و يحتوي على الخلود (الروح)، فهو عبد يحتضن قلباً حراً، و حبه و فنه و تفكيره و صحته و مرضه و جسده و تشريحه تدل كلها على هذه التراكيب المتكاملة .

فالدنيا كلها تقيده و جسده يقيده مثل الجاكطة الجبس، ومع ذلك لا تمنعه هذه القيود من أن يضمّر في نفسه شيئاً وأن يفرض هذا الشيء على ظروفه، فهو يصهر الحديد و يسوي الجبال بالأرض و يشق الأنفاق و يطلق قذيفة من عدة أطنان إلى القمر، كل هذا وهو جسم صغير هلامي من اللحم و الدم، و هو يرقد مريضاً مشلولاً يائساً، إذا اجتمع بزوجته أنجب طفلاً يرقص من الصحة والعافية. أين كانت هذه الصحة مخفية في المرض و هو يبدو ضعيفاً قليل الحيلة تقتله رصاصة بمليم، من أين يخرج صوته و ينساب تفكيره و ينصب شعوره و تندفق قواه غير المحدودة.

إن أعضائه تبدو في التشريح من مادة تقبل الوزن و القياس و تخضع للزمن و لكن شعوره يكشف عن مادة أخرى و زمن آخر يعيش فيه غير زمن الساعات و الدقائق، زمن حر يقصر و يطول حسب إرادته، و تعمق هذا الشعور في لحظات الحب و الإلهام و التصوف يكشف عن حقيقة أعرب، إن هناك أفقاً ثالثاً في داخله أفقاً غير زمني لحظاته أبدية مليئة لا تنقضي مثل اللحظات و إنما تظل شاخصة في الشعور مائة الوجدان.

فلسفة الحب

الحب فرصة ليصبح الإنسان أفضل وأجمل وأرقى، ففي لحظة الحب تتعطل اللغة و يحل محلها سكوت ناطق معبر، و الزمان و المكان يتلاشيان في غيبوبة واعية تكف فيها اللحظات الزمنية عن التداعي، وتنصهر في إحساس عميق بالنشوة والنصر والفرح، قد تكون

هذه النشوة لحظة واحدة و لكن هذه اللحظة تصبح كالأبد. ففي لحظة الحب، تنفتح بوابة الجمال والمشاعر والسكينة كلها على مصراعها، فتلامس المعاني الجميلة التي يحتوي عليها الحبيب. فالحب خلق ليعيش بينما الرغبة تحيا وتخبو في لحظات. والحب يحتوي على الشهوة ولكن الشهوة لا تحتوي عليه.

والحب الذي هو أعمق من كل حب لا يفجره في القلب إلا التصوف و الشعور الديني، لأن الدين هو الذي يعيد الإنسان إلى النبع الذي صدر منه، ويأخذ بالإنسان الساقط في الزمان و المكان ليرفعه إلى سماوات الأبدية، ولا يرفعه إلى هذه السماوات إلا الحب منتهى الحب الذي يفنى به العابد عن نفسه و عن الدنيا شوقاً إلى خالقه. و ما حب الإنسان للمرأة و ما حب الإنسان للفن و ما حب الإنسان للجمال إلا خطوات الدليل الخفي الذي يقودنا إلى الله، إلى المحبوب الوحيد الذي يستحق الحب، محطات سفر إلى المحطة النهائية محطة الوصول. مرة بعد مرة يكتشف الإنسان أن موضوعات حبه لا تملك وجوداً حقيقياً فالوردة تذبل و الشمس تغرب والمرأة تشيخ و الجديد في الفن يبلى، ويبقى حب الله المطلق في حبه وحب عبوديته. و ما رآه في المرأة جمالاً يكتشف أنها لا تملكه و أنه يزايلها بالشيخوخة. إنه لم يكن جمالها لقد كان وديعة أودعت عندها ثم استردها صاحبها.

إن الحب ديناميكا العطا المستمر بل ينبوع الحنان الذي لا ينضب، بل أن النظرة في عين محب كالخوض في بحور متلاطمة الأمواج من شعور بالسلامة والهدوء لتطرف شعوري مجنون، من هدوء واع للمحبة لسخط وعدم مبالاة. فالإنسان يعبر عن الحب بالغايات المحدودة ويتجاوزها إلى قيم الفن و الجمال و الخير و العدالة و الحقيقة. و هو على عتبة هذه المجردات يكتشف أنه يريد الله بكل حبه، فهو الواحد الذي تتجسد فيه كل هذه القيم اللانهائية. وهو اللامحدود في مقابل المحدود. و ها هو أخيراً يجد الجواب على السؤال اللغز الذي طالما حيره لماذا خلقت؟ لماذا وجدت في هذه الدنيا؟ والآن يعرف لماذا خلق، ليصل إلى حقيقة نفسه وليدرك عبوديته لخالقه. وما أرض الواقع إلا المزرعة التي يلقي فيها بإمكانياته

لتورق وتثمر وتحقق تلك الإمكانيات الباطنة فيه بطون جنين القمح في بذرة القمح. و هو يرى نفسه كإدارة هائلة تتخبط في سروال ضيق من الجلد و اللحم لا يسمح له إلا بالسير البطيء خطوة خطوة و الحياة بالقسط لحظة لحظة. و في كل خطوة من خطواته و في كل لحظة من لحظاته يترك بأعماله أثراً يدل عليه.

اللغة تتعطل في لحظة الحب ويحل محلها سكوت ناطق معبر. والزمان و المكان يتلاشيان في غيوبة صاحبة تكف فيها اللحظات عن التداعي و تنصهر في إحساس عميق بالنشوة و النصر و الفرح.. قد تكون هذه النشوة لحظة واحدة .. و لكن هذه اللحظة تصبح كالأبد.. الحب يؤبدها فتستمر ماثلة أمام الشعور .. تستمر في المستقبل لسنوات طويلة تلاحق صاحبها و قد ألفت ظلاً طويلاً على حياته .. و امتزجت بصحوه و نومه و أحلامه و هذيانه .. و التصقت به من داخله فأصبح من المستحيل عليه أن يفضها مع ثرثرة كل يوم و مشاغله وتفاهاته.. أصبحت بعض نفسه .. تحيا بحياته .. و تموت بمماته.

فلسفة الأبتسام

للأبتسامه فلسفه خاصه جدا في التعامل مع الناس، إن غضب شخص ما وابتسمت هداً، إن جاء شخص غاضب إليك وابتسمت هداً، وإن كان هناك شخص خائف قلق متوتر وابتسمت في وجهه هداً وهذا كله بصورة نسبية. فالأبتسامه هي هدوء وسلام داخلي للمبتسم والمبتسم إليه، بغض النظر عن ماهية العلاقة. ولقد خلق الله في الرأس سبع عظام تعمل أثناء أداء الأبتسامه مع مجموعة العضلات كلها، تعمل في صورة متكاملة لتأمين السلام النفسى على المكان المحيط. و عندما يظلمك من حولك .. ابتسم لأنك لم تظلم أحدا يوماً. عندما تعرف أن فلانا من الناس لا يحبك .. ابتسم فهناك العديد من الأشخاص الذين يحبونك ويتمنون لك السعادة. أنت من تملك حياتك وأنت من تعيشها فيرادتك الواعية وضميرك المنتبه تجعلها جنة صغيرة سعيدة أو تجعلها سوداء مليئة بالأحزان .. فلك الخيار لتختار مهما قابلت من ضغوط ومخاطر.

فالابتسامه طريقك لكسب القلوب ومفتاحك اللطيف لفتح أقفال قلوب الآخرين.
حركة بسيطة، بإمكانها أن تغيّر أشياء كثيرة فهي كالبذرة الصغيره. ترميها في نفسية من أمامك.
فتحلو وتصفو الدنيا لك تزيدك جمالا، تزداد وسامة بفعالها، يقرأ من أمامك أفكارك، يتعرف إلى
شخصيتك، يستطيع التعرف على حالتك النفسية والمزاجية منها. يقال أن للابتسامه فلسفه،
تخيل معي شخصاً متوتراً قلقاً مرتبكاً خائفاً قابلته بابتسامه صافية، نقيه نابعة من قلبك فماذا
ستكون ردة فعله؟ سيهدأ وسيزول القلق.

فلسفة الخير

الخير هو المبدأ الأخلاقي بالفطرة السليمة أو هو حالة مرغوبة، ممتعة، أو ما يُعتبر من
الناحية الأخلاقية أفضل من شيء آخر أو من حالة أخرى. والخير هو نقيض الشر أيضا. يُعرف
الشيء الخير أو حالة الخير دائما بشكل نسبي لأشياء أو لحالات أخرى، وتعريفه هو دائما
شخصي ذاتي متعلق بسياق الزمان والمكان والعلاقات بين البشر. هو الأداة الذي يجعل القائم
عليه في سعادة وبشاشة ويعطى الطابع الاجتماعي القدر الكافي من السلام والمحبة. ويتجلى
مفهوم الخير في مفاهيم أكثر تحديداً مثل الفضيلة والعدالة والسعادة وغيرها. وهو سلوك لا
تستمد نتائجه من المقاصد التي يحققها، أو الغايات التي يعمل من أجلها هذا السلوك.
فالإنسان الخير يفيد الوجود من عوض، أو غرض من المدح، أو التخلص من الدم، والله تعالى
يفعل الخير لأن الخير مقتضى ذاته. وكمال الوجود هو كمال الخير.

فلسفة القدر

قد يسأل سائل مستنكراً ما جدوى أن نخوض من جديد في مسائل تنتمي إلى
المناظرات والجدالات الكلامية العقيمة للإجابة عن سؤال إن كان الإنسان مسيراً أو مخيراً!!!
والحال أنّ البشرية، بعد ثوراتها المعرفية والتكنولوجية الكبرى، أثبتت طاقات الإنسان الخارقة
وقدراته الداتية المتميزة والخلاقة على قيادة نفسه وقيادة العالم والسيطرة على الطبيعة وتطويعها
لمصالحه وحاجاته الآنية أو ما يسمى طموحاته الأنانية؟ وتعريف القدر هو إيجاد الأشياء على

صفة مقصودة وهو مشتق من القدر بسكون الدال وهو الكمية المحددة المضبوطة. أما في اصطلاح المتكلمين فالقدر اسم "للإرادة الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه ويطلقونه على الشيء الذي تعلق به القدر وهو المقذور".

قضية القدر في الفلسفة الحديثة تترد بجملتها إلى موضوع إنسانية الإنسان، كيف تتبلور هذه الإنسانية من خلال الوسط الذى نعيش فيه. فالإنسان يرتبط ارتباطاً وجدانياً بوسطه وبيئته، وهو فى سلوكه وتصرفاته يعقد علاقات كثيرة وينظم ويؤلف توازنات مما حوله. فإنسانية الإنسان لا تكتمل إلا إذا وقف حيال كونه موقف الفاعل لا موقف المتلقى، ومن هنا يبرز التمايز الموجود بين الفلسفة الكلاسيكية والفلسفة الحديثة فى مفهوم وفلسفة القدر، فالفلسفة الكلاسيكية لم تتخط اعتبار الإنسان عقلاً قابلاً فهم بموضوعه المعطى له. بينما الفلسفة الحديثة كما نرى تتخطى حدود العقل المدرك بالتأمل إلى العقل الذى يمارس تلقائية فاعلة تجاه موضوعه. فالقدرة إذن هى الأساس، وهى التى ينتج عنها الفعل العملى. وبذلك يتقدم الفعل على الحقيقة الناجمة عنه.

فلسفة القدر عبر الأديان

ويمكن أن يعرف القدر حيث الدال مرادف القدر بسكونها وهو تحديد الأمور وضبطها، والمراد أن خلق الله الأشياء مصاحب لقوانين جارية على الحكمة. ومما يقتضيه معنى القدر وفق هذا التعريف "أن كل شيء مخلوق هو جار على وفق علم الله وإرادته لأنه خالق أصول الأشياء وجاعل القوى فيها لتنبعث عنها آثارها ومتولداتها، فهو عالم بذلك ومريد لوقوعه. وهذا قد سمي بالقدر فى اصطلاح الشريعة كما جاء فى حديث جبريل الصحيح فى ذكر ما يقع به الإيمان "وتؤمن بالقدر خيره وشره". ولولا أن القدر منسوب فى التأثر لإرادة الله تعالى لكانت التفرقة بين أفعال الخير وأفعال الشر فى النسبة إلى الله ملحقة باعتقاد المجوس بأن للخير إلهها وللشر إلهها وذلك باطل لقول النبي صلى الله عليه وسلم "وتؤمنوا بالقدر خيره وشره" وقوله "القدرة مجوس هذه الأمة".

فالقدر إذا هو ما يحصله الإنسان بمشيئته من استثمار لآثار قدرة الله في الكون المعبرة عن مشيئته وذلك ما يفسر قول الأشعري في معنى الكسب والاستطاعة "إنها سلامة الأسباب والآلات"، وحاصل هذا التأويل أن به "بطل مذهب الجبرية لأن هناك مشيئة للناس وجعلت مشيئة الله شرطاً فيها لأن الاستثناء في قوة الشرط فلإنسان مشيئته لا محالة. وأما مذهب المعتزلة فغير بعيد من قول الأشعري إلا في العبارة بالخلق أو بالكسب وعبارة الأشعري أرشق وأعلق بالأدب مع الخالق".

فلسفة الفراغ

إن ذرة التراب ليست شيئاً تافهاً، ففيها حركة وفيها نبض. إن الجماد في حقيقته غير جامد و لا حتى سائل إنه مخلخل من داخله و مؤلف من منظومات هائلة من الذرات و الجزيئات تسبح في فراغ أثري. و الجزيء هو معمار من الذرات و الذرات نفسها معمار جميل من جسيمات صغيرة نووية تدور حولها كهارب غاية في الصغر منتظمة في أفلاك. والذرات والجزيئات مترابطة مع بعضها بقوانين من الجذب والتنافر تشدها إلى بعضها دون أن تسمح لها بأن تصطم ببعضها وتذوب وتفقد شكلها وشخصيتها. إنها كالشمس ومنظومتها الكبرى من الكواكب والأقمار تتربط بالجاذبية ولكنها جاذبية لا تزيد إلى القدر الذي يؤدي إلى تلاحمها وفنائها في بعضها وإنما هي جاذبية يعادلها تنافر يؤدي إلى احتفاظ هذه الأجرام السماوية بأشكالها وشخصياتها وهي تدور حول بعضها كما تدور كهارب الذرات وكما يدور كل شيء في العالم حياً وميتاً جامداً وسائلاً وغازياً. ولا فرق بين جامد وسائل وغازي، إلا في سرعة الدوران، السائل ذراته أسرع والغاز ذراته أسرع جداً ولذلك تتفكك جداً وتصبح هباءً منشوراً أو بالتعبير الساذج هواء.

وكل شيء في الكون له صورة ونظام وتفصيل وفيه نبض وهنا يبدو الفاصل بين الحي والميت فاصلاً رفيعاً هو يزداد شفافية كلما نظرنا بتعمق في طبيعة المادة، فالمادة ليست في حالة حركة فقط وإنما هي في حالة حركة هادفة أيضاً. ومعنى هذا أن تركيب المادة فيه نظام

وحركة وهدف، وليس هذا فقط بل أن تكوينات المادة فيها طابع الشخصية والتفرد أحياناً وهي تلتزم طابعها وتحافظ عليه، فمادة كبريتات النحاس تنظم نفسها في بلورات محددة ذات شكل محدد وهي تجدد نفسها في المحاليل بنفس الشكل دائماً وهي تنمو في المحاليل وإذا قطعت بلورة منها إلى جزئين فإن كل جزء ينمو محتفظاً بطابعه.

معني أن الصلة غير مقطوعة بين المادة الحية و الميتة يعني أن العالم متدامج في وحدة ومنشق من أصل واحد و طبيعة واحدة، يعني أن الروح مبنوثة فيه كله والعقل باطن في كل تضاعيفه بشكل جعله كله مصوراً في تراكيب و أنماط و قوالب و طرز فيها نظام و قانون وجمال. ومهما بلغت الفروق بين هذه القوالب والطرز والأنماط الحية والميتة فإن التعمق في فهمها يردها جميعاً إلى أصلها الواحد و جذعها المشترك الذي انبثقت منه، إنه يكشف عن تشابها جميعاً و وحدتها الجوهرية.

إن الكون يمت لبعضه بصلة القرابة، نحن و الشمس و القمر و الثعبان و الميكروب أولاد عمومة واحدة، و حينما كشف داروين عن تأصل الأنواع جميعها في نظريته عن التطور ضحك عليه الناس كيف يكون القرد و الإنسان أولاد عمومة واحدة. و لكن "داروين" برهن بالدراسة التشريحية أن المسألة ليست نكتة و أن التركيب التشريحي و السلوك الوظيفي للحيوانات و النباتات و الأحياء جميعها يسلكها في عقد عائلي واحد. الكون هرم يتربع الإنسان على قمته و لكن كل حجر من حجارة الهرم مرحلة من هذا النظام البديع الذي كان تتويجه النهائي الإنسان.

الإنسان والفراغ الداخلي

لا يرى الانسان منجسمه إلا الجلد الذي يغطيه. عينه لا ترى نفسها ولا ترى الأذن أو الفم أو الأنف. أما الرأس فهو غلاف مرأس يحتوي على ٢٠٦ عظمة، و ٦٣٩ عضلة غير مرئية.

تكون العقل البشرى من نسيج ثابت لا يتجدد يحتوى على ملايين المراكز المسؤولة

عن الحركة والحس والفهم والإدراك واكتساب المواهب. ينقسم العقل البشري إلى مساحات صغيرة تعد بالآلاف وكل مساحة بها مئات الألوف من المراكز التي تنتظر التنشيط تبعاً لنشاط صاحبه وسعيه وراء الفهم ورغبته الجامحة في المعرفة. و النسيان ظاهرة نفسية شائعة، وهي ليست عملية عقلية لأنها عجز دائم أو مؤقت عن استرجاع الخبرات والمعلومات والمعارف التي كنا قد اكتسبناها، ولكن النسيان لا يكون دائماً سلبياً فهو في كثير من الحالات نعمة للفرد، ولكن قد يكون نقمة في مجالات التعلم والخبرات السعيدة. والمهم في المخ هو أنه أداة فصل بين المنطق المرئى والغير مرئى الإحساس وعدم الإحساس، أنه المركز الذى ينشط بدخول الإنسان للنوم ويجرى العديد من العمليات ويتحكم فى الجنس البشرى أثناء النوم.

فلسفة التقنية والعلم

يعيش الإنسان المعاصر الحضارة وسط زخم التقنية بين عدة أجهزة وآلات مختلفة أنتجتها التكنولوجيا الحديثة فانتمت حياته أفراداً وجماعات بانتظام كل ميادين الحياة بانتظامها، فمن الميدان السياسي إلى الاقتصادى نجد المعدات والآلية تخرق الحياة البشرية حتى أضحت مألوفة لدى الناس ولا يستطيعون العيش بدونها .

المعنى الشائع لمفهوم التقنية في اللسان العربي نجده يقابل العلم، كما يقابل الممارسة النظرية وتطبيق المعرفة، ثم أنها شيء محايد، وهي ليست خيراً في ذاته ولا شراً في ذاته، إنما مجرد وسيلة تتخذ معناها من التوظيف التي توظف فيه. ويعرف معجم لالاند التقنية بأنها "مجموعة من العمليات والإجراءات المحددة تحديداً دقيقاً، والقابلة للنقل والتحويل والرامية إلى تحقيق بعض النتائج التي تعتبر نافعة .

يشير هذا التعريف في دلالاته الأولى إلى كل إنتاج لأشياء مختلفة (أدوات، آلات) لا تستطيع الطبيعة توفيرها وإنتاجها بذاتها، ويحمل دلالات ثانية يمكن أن نجملها في كونه أولاً بتركيزه على خاصية التحديد الدقيق يقصي من دائرة التقنية كل الوسائل التي لا تتلاءم بصفة مع الأغراض التي صنعت من أجلها، وفي كونه ثانية يربط التقنية بخاصية النقل والتحويل وهو ما

يضفي عليها طابعا اجتماعيا تصبح التقنية بمقتضاه قابلة للتعلم والاكتساب والتطوير والانتشار داخل الوسط الاجتماعي، وأخيرا يربط ذلك التعريف التقنية بأهداف عملية ونفعية. و يمكن أن نستخلص من هذا التعريف إذن أن التقنية نشاط إنساني أساسي تقوم عليه باقي الأنشطة الإنسانية الأخرى، وأنه جزء من نسيج العلاقات الاجتماعية، وبذلك فالإنسان لم يحول الطبيعة باعتماده على التقنية بل تحول هو نفسه إلى كائن ثقافي يعيش حياة اجتماعية واعية .

لماذا تحولت التقنية إلى قوة مهيمنة على وجود الإنسان؟

انتقد ميشيل سير المسلك الذي سار عليه العقل الغربي وذلك باتخاذ التقنية كوسيلة للتحكم في الطبيعة، وهذا الأسلوب أدى بدوره إلى تحكم التقنية نفسها على الإنسان والطبيعة معا فتحوّلت من مجرد أداة للتحكم الإنسان على الطبيعة إلى عنصر يهدد كيانهما ووجودهما معا. وخطورة هذا التحكم حسب ميشيل سير أنه مقتصر على فئة أو منطقة دون أخرى أو أنه محلي، بل سيكون ذا بعد كوني وعالمي وشامل. فلا خيار أمامنا إلا إعادة النظر في علاقتنا بالأشياء التي أصبحت تسودها علاقة التملك والتحكم عن طريق إيجاد السبل الكفيلة للخروج من هذا الإشكال العويص، وهذا السبيل هو تحكم جديد في التحكم الحالي المستمد أصوله من العقل الغربي الحديث.

يرى كارل ماركس أن كل الأشياء تبدو جلية وواضحة من خلال نقيضها، وهكذا فإذا كانت التقنية تحمل في ذاتها إيجابيات وتبهر الإنسان وتملك قدرة إيجابية في اختصار الوقت وتحد من ساعات العمل عبر الآلات المختلفة فإنها في الوقت نفسه تسبب الجوع والإرهاك المفرط، لتتحول الثورة التقنية إلى مصدر البؤس، فأصبح كل انتظار تقني ثمنه انحطاط معنوي.

ومن خلال مفهوم الاستلاب فإن ماركس يؤكد أنه بقدر ما فتى الإنسان يصبح سيذا وممتلكا للطبيعة بقدر ما تمارس عليه الآلات والقدرات التي يمتلكها استلابا ويتحول إلى عبد لهاته الآلات التي يمتلكها. وإن التقنية حسب ماركس تستدعي استغلالها والتحكم فيها من طرف أناس جدد غايتهم تحويلها إلى وسيلة لنفع المجتمع لا لممارسة الاستلاب والاضطهاد.